٣ـ المَنْهَجُ التَّارِيخِيُّ... وَالدِّرَاسَاتُ العَرَبِيَّةُ المُعَاصِرَة

📖📖📖📖📖📖

١ـ عَبَّاس مَحْمُود العَقَّاد

﴿ ١٣٠٦ ـ ١٣٨٣هـ = ١٨٨٩ ـ ١٩٦٤م ﴾

ـ تَرْجَمَتُهُ وَسِيرَتُهُ :

قَالَ خير الدِّين الزِّرِكْلِيُّ الدِّمشقيُّ ((ت سنة ١٣٩٦هـ)) فى ((الأعلام)) :

﴿ عبَّاس بن محمود بن إبراهيم بن مُصطفى العقَّاد.

إمامٌ فى الأدب ؛ مصرىٌّ ؛ من المُكثرين كتابةً وتصنيفاً مع الإبداع.

أصله من دمياط ؛ انتقل أسلافه إلى المحلة الكُبرى ؛ وكان أحدهم يعمل فى (عقادة) الحرير ؛ فَعُرِفَ بالعقَّاد .

وأقام أبوه صَرَّافَا فى إسنا ؛ فتزوَّج بكُرديَّةٍ من أُسوان .

وَوُلِدَ عبَّاس فى أُسوان ؛ وتعلَّم فى مدرستها الابتدائيَّة ؛ وَشُغِفَ بالمُطالعة .

وسعى للرِّزق ؛ فكان مُوظَّفاً بالسِّكة الحديديَّة وبوزارة الأوقاف بالقاهرة ؛ ثُمَّ مُعلِّماً فى بعض المدارس الأهليَّة .

وانقطع إلى الكتابة فى الصُّحف والتأليف ؛ وأقبل النَّاسُ على ما ينشر.

تعلَّم الإنكليزيَّة فى صباه وأجادها ؛ ثم أَلَمَّ بالألمانيَّة والفرنسيَّة ؛ وظلَّ اسمه لامعاً مُدَّةَ نصف قرنٍ ؛ أخرج فى خلالها من تصنيفه ٨٣ كتاباً فى أنواعٍ مُختلفةٍ من الأدب الرَّفيع ؛ منها كتاب عن : ((الله)) ؛ و((عبقريَّة محمَّد)) ؛

و ((عبقريَّة خالد)) ؛ و((عبقريَّة عُمر)) ؛ و((عبقريَّة عليّ)) ؛ و((عبقريَّة الصِّدِّيق)) .

و ((رجعة أبى العلاء)) ؛ و ((الفُصُول)) ؛ و ((مُراجعات فى الأدب والفُنُون)) ؛ و ((ساعات بين الكُتُب)) ؛ و ((ابن الرُّومى)) ؛ و ((أبو نُواس)) و ((سارة)) ؛ و((سعد زغلول)) ؛ و ((المرأة فى القُرآن)) ؛ و ((هتلر)) ؛ و ((إبليس)) ؛ و ((مجمع الأحياء)) ؛ و ((الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق)) ؛ و ((عرائس وشياطين)) ؛ و ((ما يُقال عن الإسلام)) ؛ و ((التفكير فريضة إسلاميَّة)) ؛ و ((أعاصير مغرب)) ؛ و ((المُطالعات)) ؛ و ((الشُّذُور)) ؛ و ((ديوان العقَّاد)) .

وَكُلُّهَا مطبوعةٌ مُتداولة .

وصدر له بعد وفاته كتابٌ سمَّاه ناشره : ((أنا... بقلم عبَّاس محمود)) .

وكان من أعضاء المجامع العربيَّة الثلاثة : ((دمشق ؛ والقاهرة ؛ وبغداد)) .

شعرهُ جيِّد .

ولَّما برزت حركة التحلُّل من قواعد اللُّغة وأساليب الفُصحى عَمِلَ على سحقها.

وكان أجش الصوت ؛ فى قامته طُول ؛ نُعِتَ من أجله بالعملاق .

تُوفِّى بالقاهرة ؛ وَدُفِنَ بأسوان . ﴾ . (١) .

وقد ذكرهُ السيِّد مُرسى أبو ذكرى فى كتابهِ ((المقال وتطوره فى الأدب

---

(١) ـ دار العلم للملايين ؛ الطبعة : الخامسة عشر : أيار = مايو ٢٠٠٢ م.

المعاصر)) ؛ فقال :

﴿ عبَّاس محمود العقَّاد ((١٨٨٩ـ ١٩٦٤م))

مُفكِّرٌ ؛ وأديبٌ ؛ وشاعرٌ ؛ وناقد ذو طبيعة جديَّةٍ ؛ حَلَّقَ فى آفاقٍ ساميةٍ نبيلةٍ ؛ لا يتدنَّى إلى مُشكلات الحياة اليوميَّة العاديَّة .

تضُمُّ مقالاته كُلَّ رصيدٍ من الموضوعات التى تُوحى بكتاباته الجادَّة ؛ خالط الأوروبيين ـ عن طريق القراءة ـ فى أدبهم وفنونهم وعلومهم وفلسفاتهم ؛ وشاعت هذه المُخالطة فى جميع كتاباته ؛ حتى برز دوره الأصيل فى نهضتنا الفكريَّة ؛ وهو دورٌ يقوم على نقل الفكر الغربىِّ إلى أوعية لُغتنا ؛ مع فحصه وطرح مالا يُلائمنا منه .

أغزر كُتَّاب مصر إنتاجاً ؛ فقد كتب حوالى أحد عشر ألف مقالٍ خلال نصف قرنٍ ؛ بدأ الكتابة ١٩٠٧م ؛ وظلَّ من ١٩٢٢ حتَّى ١٩٣٥ يكتُب مقالاً صحفيَّاً يوميَّاً عدا يومٍ واحدٍ فى الأسبوع ؛ والأشهر التسعة التى قضاها فى السجن بحُجَّة العيب فى الذَّات الملكيَّة ؛ ومن ١٩٣٧م إلى ١٩٥٢ م كان يكتُب ما بين ثلاثة وأربعة مقالات صحفيَّة فى الأسبوع ؛ هذا إلى جانب مئات المقالات غير الصحفيَّة التى نُشرت فى الصُّحُف والمجلاَّت ؛ ويتميَّز العقَّاد بكثرة الصُّحُف والمجلاَّت التى عَمِلَ بها ؛ وهى على سبيل المثال : ((الدستور)) ؛ و ((المؤيد)) ؛ و ((البيان)) ؛ و ((الأفكار)) ؛ و ((البلاغ)) ؛ و ((الأساس)) ؛ و ((الأهرام)) .

ويقول شوقى ضيف عن العقَّاد :

« وقد ظلَّ مُنْذُ باكورة حياته الأدبيَّة يعكف على الفلسفات والأدب والفنون الغربيَّة ؛ وتمثَّلها جميعاً تمثُّلاً رائعاً ؛ وهو تمثُّلٌ أخضعها فيه لسُلطان عقله ؛ فإذا هو يحُلِّلها وينقدها ؛ مُكوِّناً لنفسه فيها صُوراً ظلَّ ينشرها تارةً فى مقالات ؛ وتارةً فى مُؤلَّفات . » . (١) .

ـ أُسلُوب العقَّاد :

تناول العقَّاد أكثر من لون من ألوان المقالة : سياسيَّة ؛ وأدبيَّة ؛ واجتماعيَّة ؛ ووصفيَّة.

اعتمد أسلوبه فيها على التعبير المحُكم الذى يُؤثِر الألفاظ المُوحية والجُمل المحُكمة التى تقوم على : الدقة فى التصوير ؛ والقصد فى التعبير ؛ والتركيز فى كتاباته.

ورغم ذلك كُلَّهُ فإن أسلوبه يتميَّز بما يلى :

١ـ عدم الإفراط فى المُقدِّمات ؛ أو اللجوء إلى التكرار ؛ أو اللف ؛ أو التوكيد بالكلمة أو الجُملة .

٢ـ العناية بوفرة المعانى وغزارة المادَّة .

وحسب الكلمة والعبارة أن : تؤدى المعنى ؛ وتنقل الخاطرة ؛ وتُفصح عن الشُّعور : لتزيد المعنى ؛ وتُضيف إلى الفكرة جديداً .

٣ـ طُول بعض الجُمل أكثر من المألوف ؛ ممَّا يجعل شيئاً من الغموض أو الجفاف أو الالتواء فى الأسلوب ؛ مما يتطلَّب من القارئ تنبُّهاً عظيماً .

---

(١) ـ « مع العقَّاد » ؛ [ص : ٨٢] ؛ العدد : ٢٥٩ من سلسلة اقرأ ؛ دار المعارف .

٤ـ الإبانة والإفصاح ؛ مع الجمال الطبيعيِّ الذى قد يصل أحياناً إلى حَدِّ الشاعريَّة.

٥ـ استخدام التديلات الضابطة والاحتراسات المُتحفظِّة ؛ حتى يضمن إحكام التعبير ؛ ويصون دقة المعنى .

٦ـ يتسم بالجدل المنطقيِّ ؛ وَالحِجَاجِ العقليِّ ؛ والتحليل الدقيق ؛ واختيار الألفاظ المُتشامخة ذات الجَرْس والطنين .

٧ـ البُعْدُ عن زخرفة اللفظ ؛ سوى السَّجْع الذى تحتاجه المواقف ؛ كالسُّخرية ؛ والتحدى ؛ والدعاية ؛ حتى يُفزع رنينه الأسماع.

وفى النَّصِّ التالى سمات أسلوب العقَّاد ؛ وهو جزءٌ من مقال العقَّاد فى « الألم واللذة » ؛ وفيه يقول :

« أما أن الألم موجودٌ فى هذه الدنيا ؛ فمما لا يختلف فيه اثنان ؛ وأما أنه كثيرٌ فوق ما تقبله النفوس ؛ فمما لا يختلف فيه إلا القليل ؛ وأما أنه نافعٌ أو غير نافعٍ ؛ ومُقدِّمٌ للحياة أو مُثبِّطٌ لها ؛ فذلك ما يختلف فيه الكثيرون .

ورأيتُ فى هذا الخلاف أنَّ الألم ضرورةٌ من ضرورات الحياة ؛ وحسنةٌ من حسناتها فى بعض الأحيان ؛ وحالةٌ لا تُتخيَّل الإنسانيَّة بدُونها على وجهٍ من الوجوه.

أما تفصيل هذا الرأى ؛ فهو أن الشُّعور يستلزم الشُّعور بغير النفس ؛ فهذه الـ « أنا » التى تقولها ؛ وتحمل فيها خصائص حياتك ؛ ومميِّزات وجُودك ؛ وتعرف بها نفسك ؛ مُستقلاً عمَّا حولك ؛ مُنفرداً بإحساسك : هى نصيبك من

الحياة الذى لا نصيب لك غيره ؛ وهى تلك « الذات » التى لا تشعر بها إلا إذا شعرت بشىءٍ مُخالفٍ فى هذا العالم الذى يُحيط بها ؛ فأنت لا تكون شيئاً له حياةٌ ولذَّاتٌ وآلامٌ ومحابٌّ ومكارهٌ ؛ إلا إذا كانت فى هذا العالم أشياء أُخرى ؛ ولا تكون هذه الأشياء الأُخرى معك إلا إذا كان منها ما يُلائمك وما لا يُلائمك ؛ أو ما يسُرُّك وما يُؤلمك. » . (١).

يكشف لك هذا المقال وغيره عن قُدرة العقَّاد فى هضم الفلسفات والآداب الغربيَّة ؛ وإخضاع ما يقرؤه لعقله وفكره العربىِّ ؛ واستنباط صورٍ ضمَّنها مقالاته وكتاباته فى الصُّحُف التى عَمِلَ بها. ﴾.(٢).

.....

ب ـ العَقَّاد ... وَالمَنْهَجُ التَّارِيخِىُّ ... مِن خِلالِ كِتَابِهِ

« شُعَرَاءُ مِصْر وَبِيئَاتِهِم فِى الجِيلِ المَاضِى »

يَقُول العقَّاد فى مُقدِّمة الكتاب :

﴿ أثرُ البيئة فى شُعرائنا الذينَ ظهروا مُنذُ عهدِ إسماعيل وقبل الجيل الحاضر : هو موضُوع هذا الكتاب ... ؛ ومعرفةُ البيئة ضروريَّةٌ فى نقدِ كُلِّ شعرٍ فى كُلِّ أُمَّةٍ وفى كُلِّ جيل ؛ ولكنها ألزم فى مصر على التَّخصيص ؛ وألزم من ذلكَ فى جيلها الماضى على الأخص ؛ لأنَّ مصر قد اشتملت مُنذُ

---

(١) ـ « مُطالعات فى الكتب والحياة » ؛ [صـ : ٢٥٤ ؛ وما بعدها] .

(٢) ـ « المقال وتطوره فى الأدب المعاصر » ؛ دار المعارف ؛ الطبعة : ١٩٨١ـ١٩٨٢ م [ص : ٢٠٠ ـ ٢٠٢] .

بداية الجيل إلى نهايتهِ على بيئاتٍ مُختلفةٍ لا تجمعُ بينها صِلَةٌ من صلات الثَّقافة غير اللغة العربيَّة التى كانت لُغة الكاتبين والنَّاظمين جميعاً ؛ وهىَ حتَّى فى هذهِ الجامعة لم تكُن على نسقٍ واحدٍ ولا رُتْبَةٍ واحدةٍ ؛ لاختلافِ درجةِ التَّعليم فى أنحائها وطوائفها ؛ بل لاختلافِ نوعِ التعليم فى من نشئوا على الدُّرُوسِ الدِّينيَّة ؛ ومن نشئوا على الدُّرُوسِ العصريَّة ؛ واختلافهُ بين هؤلاء جميعاً وبين من أخذُوا بنصيبٍ من هذا ومن ذاك . ﴾.

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِك :

﴿ وقد اجتمعَ البارودىُّ وعلى الليثىُّ فى عصرٍ واحدٍ ؛ والتقت أواحرُ أيَّامِ البارُودىُّ بأوائلِ المُعاصرين ؛ ولكن الفُرُوق بينهم جميعاً فى مذاهبِ القولِ لا يُحيطُ بها أدبُ أُمَّةٍ أُخرى من أُممِ العالمِ فى أُلُوفِ السِّنين ؛ وكُلُّ إدراكٍ لخُطُواتِ التجديد فى الأدبِ المُعاصر ؛ هُوَ إدراكٌ ناقصٌ مبتُورٌ مالم يقترن بهِ إدراك هذه الحالة التى لا نظير لها بينَ آدابِ اللُّغاتِ الأُخرى ؛ وهىَ الحالةُ التى استلزمها تعدُّد الهيئات الأدبيَّة عندنا فى الجيل الماضى . ﴾ .

ومن تأمَّلَ هذا الذى ذُكِر ؛ عَلِمَ أنَّ دليله ورائدهُ فى كُلِّ هذا هُوَ المنهجُ التَّاريخىُّ .

ثُمَّ :

لماذا عجزت المرأة عن إجادة الشِّعر ؛ والنُّبُوغ فى فَنِّ القريض ؟!!

عِلَّةُ ذلكَ عندَ العقَّاد أنَّ طبيعة المرأة من حُيثُ هى امرأة تعجزُ عن التعبير الصَّريح عن عواطفها وانفعالاتها وما يَمُورُ بذاتها وَيَخْتَلِجُ بكيانها ؛ فطبيعتها

مُنْذُ أقدم عُهُودِ التَّاريخ تميلُ إلى إيثار الكتمان ؛ ومُغالبة العاطفة وإخفائها ؛ نعم قد تُعَبِّر عن مشاعر الحُزْنِ والألم ؛ وها هى الخنساء قد أجادت فى هذا المضمار ؛ إلاَّ أنَّ هذا لا يدفعُ ويدحضُ ما ذهب إليهِ العقَّاد ؛ إذ الحُزنُ يتوافقُ وطبيعة المرأة ؛ أى طبيعة الاستسلام والانقياد والضَّعف ؛ فالمرأةُ إذا ما وقفت بإزاء الرَّجُل فى أىِّ ميدانٍ ؛ فهىَ الحييَّةُ الضَّعيفةُ المُستكينة ؛ والتى إذا ما رغبت فإنَّ عجزها وخوفها وخجلها الفطرىَّ يحُولُ بينها وبينَ رغبتها .

وأمَّا الرَّجُل ... ؛ فهو القوىُّ ؛ الجرىء ؛ المِقْدَام ... ؛ والذى إذا ما رغبَ ؛ فإنَّهُ لا يعرف التَّرَدُّد ولا الخجلَ ولا الخوف .

وهكذا يتجلَّى بوضُوحٍ : كيف كان العقَّاد يرجع إلى التَّاريخ ؛ لِيُعَلِّل بهِ الظَّواهر والقضايا ... ؛ وكيفَ كانَ لهُ بمثابةِ المادَّةِ الخِصْبَةِ التى تُعينُهُ على معرفةِ الأسبابِ والعِلَل .